العمران في مزاب وفن تهيئة المجال الحيوي

(الأعراف الاجتماعية والانعكاسات العمرانية)

حاج أمحمد إبراهيم
جامعة غرداية (الجزائر)

إشكالية

تتميز منطقة مزاب بطابعها الهضبي الصخري وحرارتها المرتفعة، تخترقها شبكة من الأودية لا تجري فيها المياه إلا مرة في السنة وربما مرة خلال عدة سنوات،ولكن الظروف قد ألجأت الإنسان إلى سكنى المنطقة منذ عصور قديمة؛ فحاول أن يجد أساليب تمكنه من البقاء والتكيف مع البيئة فحصل له ما أراد بإنشاء حضارة عمرانية فريدة.

يعد العمران مرآة المجتمع وتعبير عن سلوكه ونمط معيشته، ولذلك ارتبطت كلمتي العمران والحضارة عند ابن خلدون وكثير من المفكرين؛ فلا ينطلق العمران البشري من الفراغ وإنما ينطلق من منبع داخلي فطري يصقله المجتمع من قوانينه الحياتية التي استلهمها من هداية الله، وخبرته الطويلة فيمزجها بعناصر الحياة المتوفرة في بيئته من هواء وتراب.. حتى تستقيم شروط الضرورية للاجتماع البشري.

فقد خطط المجتمع المزابي مدينته ومرافقه ملبيا متطلبات عقيدته وبيئته بفكر جماعي تلبية لمطالب جماعية فامتازت عمارته بالانسجام والوفاق بين أشكالها ومضامينها، وغدت نموذجا متفردا مثل أي نموذج استجاب لذلك التناغم بين البشري والبيئي، وركزها على قواعد وثوابت عمرانية مضبوطة، سارت عليها مدن مزاب لقرون رغم الظروف الصعبة.

وتتجلى من خلال القراءة الأثرية والهندسية مدى براعة الإنسان في الموازنة بين ثنائية المجال الحيوي حيث الحاجة إلى التربة والأرض الزراعية القليلة والقصر الصحراوي الذي يجمع داخل أسواره الجماعة السكانية التي لا يجب أن يتجاوز تعدادها إمكانيات المساحة الزراعية بحيث كان يُدفع بالفائض إلى أن يؤسس لنفسه قصرا جديدا بعد أن يبحث عن مساحة زراعية تكفيه مؤنته.

هكذا بدأ حديث سكان مزاب مع الطبيعة حتى أسرت لهم بأسرارها، فقد تجد خلال فترة زمنية بسيطة وجود عدة قصور صحراوية على مسافات متباعدة بشكل مدروس ويتماشى مع ما يقابلها من أرض الفلاحة، وهذا رغم التعداد السكاني البسيط الذي يمكن حصره في قصر واحد إلا أن التنمية المستدامة وتهيئة المجال لأجيال لاحقة كان وراء هذه الخطة في العمران.

تتجلى الهندسة المعمارية بقصور مزاب في عدة مميزات فريدة تتراء للناظر ككتلة مبنية على نتوء صخري تنتظم داخله المساكن بانسجام متصاعد نحو القمة حيث تلتقي في نقطة مأذنة المسجد الذي يشرف على المدينة ويوجه سلوكه، بما يعكس هذا النظام وهذا التناسق والانسجام سلوكا اجتماعيا كان أساس العمران.

فما هي منابع الهندسة المعمارية بمزاب، وما هي الانعكاسات العمرانية التي هي نتاج الممارسات الاجتماعية والخبرات الحضارية ؟

لمحة تاريخية وطبوغرافية عن المنطقة: يعود سكنى هذه منطقة مزاب إلى آلاف السنين، إلى عصور ما قبل التاريخ ومنذ ذلك التاريخ وإنسان المنطقة يخلف تراكمات خبرته للأجيال اللاحقة في التكيف مع البيئة وهيكلة المجتمع وفق أسس متينة تستجيب لتطلعات كل فرد منه.

ومنطقة مزاب هضبة صخرية كلسية متوسطة الارتفاع بين على 500 من 700 م،تقع شمال الصحراء الجزائرية. تخترقها

أودية تمتاز بانسيابها من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي. عاصمة المنطقة غرداية تقع عند تقاطع الخطين32°و30 دقيقة شمالا و3°و45 دقيقة شرقا[1].

يسود هذه المنطقة المناخ القاري الذي يمتاز بارتفاع الحرارة إلى 50 درجة أو أكثر صيفا ونزولها إلى درجة أو درجتين تحت الصفر شتاء إضافة إلى جفاف الهواء طيلة أيام السنة. وأكثر ما تتعرض له المنطقة تلك الرياح المحملة بالرمال القادمة من الجنوب الغربي خاصة في نهاية الشتاء وبداية الربيع، ولا يصل معدل الأمطار إلى أكثر من 67 ملم سنويا. وقد انعكست هذه الوضعية على الأودية فكانت تجف لسنوات ثم تسيل فجأة خاصة عند ارتواء طبقة المياه الجوفية وتغلب سرعة تدفق المياه على سرعة التبخر والامتصاص من الأرض. تسود المنطقة كغيرها من المناطق الصحراوية نباتات قصيرة وكثرة الأشواك وطول الجذور كحشائش كالسدر والشيح والقرطوفة والنجم إضافة إلى شجرة البطم، أما النخلة وغيرها من الأشجار المثمرة فهي من النباتات التي بذل الإنسان مجهودا معتبرا لتتأقلم مع ظروف المنطقة.

يرجع أصل السكان الأوائل في المنطقة إلى العنصر البربري الذي يقطن المنطقة منذ ما قبل التاريخ وبعد الفتح الإسلامي دخلوا الإسلام في القرن الأول الهجري وبعد القرن الخامس الهجري وظهور الزحف الهلالي على المغرب استوطنت بعض القبائل العربية المنطقة كما استوطنت المنطقة طوائف من اليهود قبيل مجيء المستعمر الفرنسي لكنها انجلت عن المنطقة برحيله عام 1962م،إضافة إلى الزنوج. مما أضفى على المنطقة تنوعا عرقيا وتراثا حضاريا على مر السنين[2].

التشريع وفقه العمران في البناء بمزاب : جاءت تساؤلات المسلمين للفقهاء في مجال العمران نتيجة لرغبتهم في تشييد عمائر تتناسب مع قيمهم وحضارتهم وتراكمت أحكام الفقهاء بمرور الزمن لتشكل إطارًا قانونيًّا لحركة العمران في المجتمع يلتزم به الحكام والمحكومون على السواء.

وتمثل رؤية السياسة الشرعية للعمارة أو العمران إطارًا عامًّا حاكمًا يتناول الكليات، وليس له علاقة بالجزئيات،وهو يتداخل مع فقه العمارة في العديد من نقاط التماس؛ نتيجة لارتكاز فقه العمارة على أسس شرعية وقيم حضارية خاصة بالأمة الإسلامية.

ففقه العمارة الإسلامية لديه كليات،على السياسة الشرعية[3] احترامها وإن كان القائمون على السياسة يتجاوزون هذه الكليات؛ لاعتمادهم على السلطة في تنفيذ رغباتهم، فالسياسة تقوم على سلطة الدولة التي تسعى إلى تنفيذها، بينما فقه العمارة يقوم على المجتمع الذي يسعى إلى الحفاظ على قواعد فقه العمارة وتنفيذها كما يراها الفقهاء[4].

---

[1] يوسف بن بكير حاج سعيد، **تاريخ بني مزاب**، دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، ط3، المطبعة العربية، غرداية، 2014، ص1.

[2] المرجع نفسه، ص 3-78.

[3] السياسة الشرعية هي مراعات مقتضى النظر الشرعي في شؤون العباد في مصالحهم الدنيوية والأخروية الراجعة إليها.

[4] خالد عزب، **السياسة الشرعية وفقه العمارة**، الحدود الفاصلة والمشتركة، وحدة الدراسات المستقبلية، ع 14، الإسكندرية، ص 7.

والمقصود **بفقه العمارة** مجموعة القواعد التي ترتبت على حركية العمران نتيجة للاحتكاك بين الأفراد ورغبتهم في العمارة وما ينتج عن ذلك من تساؤلات، يجيب عنها فقهاء المسلمين، مستنبطين أحكاما فقهية من خلال علم أصول الفقه[5].

لقد تدرج الفقهاء في التاريخ إلى ضبط بعض المسائل المتعلقة بالمجال العمراني والأمور التي يجب أن تراعى فيه بحكم وجود عدة علاقات ستتقاطع أثناء تأدية هذه الظاهرة الضرورية ألا وهما العلاقة بين الإنسان والطبيعة والعلاقة بين الإنسان وأخيه الإنسان؛ وبالتالي فقد كانت المؤلفات الأولى شذرات في معرض كتب الفتيا والنوازل الفقهية. وتعود أقدم المدونات في فقه العمران إلى نهاية القرن الأول بحسب ما نقل عن ترجمة القاضي عياض لعبد الله بن عبد الحكم أن له كتابا مسمى القضاء في البنيان[6]وكتابا آخر لعيسى بن دينار سمي بالجدار. لكنها لم تصل إلينا وفي القرن الثالث أيضا ظهرت مؤلفات أخرى كالحيطان للمرجى الثقفي، وأخذت من بعد ذلك تتعمق مسائل البحث في فقه العمران وتستقل في مباحث ومصنفات خاصة.

وعلى الجملة يمكن تصنيف المصادر التي تناولت فقه العمران إلى ثلاثة أقسام: فقه العمارة الإسلامية وهي الكتب المفردة لهذا الموضوع ثم المسائل المتعلقة به في كتب النوازل والفتيا. والثاني في الأوقاف حيث تبين كثير من الوثائق الوقفية كل ما يتعلق بالأملاك الوقفية وكيفية التصرف فيها والأحكام المتعلقة بها.

ثم المصادر التاريخية والجغرافية ككتب الخطط والآثار للمقريزي وغيره وكتب تاريخ بغداد[7] وتاريخ دمشق[8].

ولعل من بين أهم أو أبرز المؤلفات المتعلقة بفقه العمران المغاربية هي كتاب "الإعلان بأحكام البنيان" للبنّاء المحتسب التونسي محمد ابن الرامي (ت 734هـ/ 1334م)[9] الذي عاش بتونس أيام الحفصيين وقد جمع في هذا المصنف أقوال فقهاء المالكية بالإضافة إلى خبرته الميدانية وأما الكتاب الآخر فهو مؤلف "رياض القاسمين" لمحمد كام الأدرنوي[10] وهو على الفقه الحنفي وللكتاب صلة بالبلاد المغاربية في العصر العثماني لكونه كان على فقه السلطة المركزية ومراكز تركز العثمانيين الأتراك.

أولويات العمران في الفقه الإسلامي: لقد أخذ الفقه الإسلامي بعين الاعتبار جملة من العوامل، الطبيعية والسياسية والاقتصادية والأمنية في تأسيس مفهوم المدينة كامتداد البنايات بما يتوافق وتخطيط المباني من حيث التجاور أو التلاصق للمباني وارتفاعها، ومن حيث توزيع عناصر التهوية والإضاءة والإطلال بالطريقة التي توفر الوقاية وتمنع الضرر، وتحول دون كشف حرمات المساكن، وجاءت أحكام الفقهاء مسايرة لتطور حركة العمران[11]، فالبيئة العمرانية الإسلامية في مجملها، شيدت من قبل مصممين سواء كانوا معماريين أو مخططين على أسس وضعتها الشريعة، وكذلك وفق تراكم الخبرات جيلاً بعد جيل فضلاً عن العرف.

أعطى المنهج الإسلامي للحيز الذي يعيش فيه المسلم نصيبه من الاهتمام، وبيّن فيه ما يجب أن يعتمد كفقه **الأولويات** الضرورة ثم الحاجة ثم التحسين؛ وكذا إعمال مبدأ **جلب المنفعة ودفع المضرة** في البناء فنقرأ مثلا في

---

[5] "**فقه العمران في الحضارة الإسلامية دراسة كتاب خالد عزب**"، جريدة الشرق الأوسط، العدد12769، 13نوفمبر 2013.

[6] توفي سنة 271هـ.

[7] أو تاريخ مدينة السلام للمؤلف أبو بكر أحمد الخطيب البغدادي (ت 462هـ).

[8] "تاريخ مدينة دمشق – حماها الله – وذكر فضلها ، وتسمية من حلّها من الأماثل ، أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها" للمؤلف بان عساكر أبو القاسم علي بن الحسن (ت 571 هـ).

[9] تحقيق فريد سليمان، نشر مركز النشر الجامعي، 1999.

[10] تحقيق مصطفى بن حموش، دار البشائر، دمشق، 2000م، 500ص.

[11] ابن عبد الله، عبد العزيز: "**من مظاهر الهندسة المعمارية في المساجد**"، دعوة الحق، العدد 232، صفر 1404، هـ/ نوفمبر 1983م، ص: 17– 25.

أسس اختيار مواضع البناء ما قاله ابن خلدون: «ما تجب مراعاته في أوضاع المدن أصلان مهما نـدفع المضـار وجلب المنافع ... وجلب المنافع يتأتى بمراعاة أمور منها: توفر المياه وطيب المرعى وقرب المزارع الطيبـة لأن الزرع هو القوت والشجر للحطب و الخشب..»[12]. ويصاحب هذا الأساس مراعاة **الكليات الخمس:** حفـظ الـدين والنفس والعقل والنسل والمال.

فقه العمران الإباضي: شهد بلاد المغرب تحولا تاريخيا كبيرا بعد أن عاش حوالي 50 سنة من الاستقرار في عصر الدويلات الثلاث الرستمية والأغلبية والإدريسية (220هـ–296هـ) قبل أن ينتهي عهد من السكون والدعة لتدخل دورا جديدا من الصراع وعدم الأمن نتيجة الحكم الفاطمي المستبد الذي حارب كل ما هـو غيـر شـيعي؛ وظـن المغاربة بعد صراع مرير ضد الفاطميين أن الهدوء سيعم مع رحيلهم إلى مصر (434هـ) لكن إرسال الفاطميين لقبائل بني هلال وبني سليم إلى المغرب عقابا للمعز غيّر من خريطة المغرب وعمّ فيها الفوضى والخراب فسـكن البربر السهول وتاركين السهول للقبائل البدوية[13].

وتحت هذه الضغوط التاريخية تموضع الإباضية بمواطنهم التي ألفوا منعتها واعتزلوا الصراعات والنزاعات التي أنهكت المغرب، وزادته التحركات الهلالية تضررا، فاهتموا بالبناء الداخلي للمجمعات في البيئات التي يعيشون فيها وتنشئة المجتمع الإسلامي المتحضر على ضوء الشريعة وما يمليها العرف، فظهر تنظيم حلقة العزابة لإحيـاء الحلقات العلمية وتثقيف العامة.

وكان الإمام المنظّم والمرتب لحلقة العزابة الشيخ أبو عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي النفوسي الذي نظـم أول حلقة في حدود سنة 409هـ[14] في تن إسلي ومنها شاع نظام الحلقة في مواطن الإباضية في جبـل نفوسـة وجربة والجريد التونسي وواوي ريغ ووارجلان ومزاب؛ فدأب المجتمع الإباضي منذئذ على نهج أصحاب الحلقـة والاقتداء بهم في الشؤون العامة والخاصة للمجتمع.

فمن المواضيع التي لقيت الاهتمام في تلك الفترة التي عنيت بالتفرغ للعلم والتأليف الاهتمام بإرساء العمران بصفة عامة بالاهتمام فنجد ابن الشيخ أبي عبد الله محمد الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد ينجز مؤلفـا غايـة فـي الأهمية سماه "**القسمة وأصول الأرضين**"[15]يضبط بدقة وعلى شكل قوانين مسنونة تهيئة المجالين الريفي من طرق توزيع المياه واستغلال الأرض وتنظيمها وزرعها وصولا إلى المجال الحضري وحيثيات تهيئته وقسمته.

يمثل هذا الكتاب وثيقة حية للجانب العملي الذي كان يحصل في الواحات وخصوصا في الجبال التي التجـأ إليها أهل السهول من استغلال محكم للموارد المائية وبناء للقصور الجبيلة وتوزيع للأرض بين المجموعات الريفية، وقد حوت فصوله على بنود دقيقة فيها مراعاة العادة والعرف[16]، كما تكمن قوة واقعيته في أنه يتضـمن للنـوازل والتي هي الأسئلة التي طرحها عليه طلبته فيما يمكن أن يقع أو حصل فعلا وكيف يتصرف حياله.وهو أقدم قـانون للمياه مكتوب[17] في المغرب نظم طرق توزيع المياه ومقادير الاستغلال ومشاركة انجـاز القنـوات علـى ضـوء الأعراف السائدة لتفادي النزاعات بين أفراد المجتمع.

---

[12] ابن خلدون (عبد الرحمن): **المقدمة** ، بيروت، دار القلم، الطبعة الأولى 1978، ص: 621.

[13] انظر أكثر: محمد علي الصلابي، **الدولة الفاطمية**، مؤسسة إقرأ، 2006، ص 99.

[14] صالح عمر سماوي، **العزابة ودورهم في المجتمع الإباضي بمزاب**، جمعية التراث، 3ج، غرداية، 2008.

[15] مزيد من التوسيع عن المؤلَّف والمؤلِّف انظر الكتاب تحقيق بكير بن محمد الشيخ بلحاج ومحمد صالح ناصر، جمعية التراث، القرارة، 1997، 635.

[16] محمد حسن، **الجغرافيا التاريخية لإفريقيا من القرن الأول إلى القرن التاسع هـ** ، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى، 2004، ص: 259.

[17] محمد حسن،**نفسه** ، ص: 261.

ويعد أقوى قانون عمراني مغاربي لمجتمع مسلم آمن بأن الله سبحانه وتعالى قد استخلفه ليبلوه أيحسن عملا أم لا! فأكلوا الطيبات وعملوا الصالحات وأقاموا حياتهم على نهج الله وحدود شريعته، فقننوا قانون الطريق والمرور وبينوا رسم المجالات على أساس احترام الحريم ورتبوا اجتناب المضرة على جلب المنفعة، لئلا تكون المنفعة على حساب ضرر الآخرين مما انعكس إيجابا على المجتمع وقوّى لحمته.

يقع هذا المصنف في ثمانية أجزاء وفي كل باب تحديد للأعراف المثبتة من الشرع والعادة ثم المسائل التي قد تطرأ وكيف تحل. ويتنوع هذا العمل الشمولي في العمران من تخطيط المدينة إلى تخطيط الوسط الريفي ومن الملكية الخاصة وحقوقها إلى المشاع وواجب مالكيها اتجاهه.

وبعد ثمانية قرون من تأليف "**القسمة وأصول الأرضين**" يظهر مؤلف جديد يختص أيضا بفقه العمران للشيخ امحمد بن يوسف اطفيّش (ت 1914م)[18] ويتعلق الأمر بـ "**مختصر في عمارة الأرض**" الذي يشتمل على 29 بابا خصص العشرة الأولى منها للحديث عن الحريم (الحدود التي يجب أن تحترم ما بين الموضع والآخر) كحريم البئر والطريق والوادي وأما الأبواب الأخرى فقد خصها للمسائل الفلاحية وبعض المكونات المعمارية التي تسبب المضرة وتكون مصدرا للخلاف كمشاركة الجدار أو استحداث الميزاب. وهذا المنجز قد أتى بعد أكثر من ثمانية قرون من وجود العمران المبني على أسس فقهية إسلامية ومجتمع إباضي، فقد جاء ليثبت بعض الأعراف ويقنن بعض المسائل التي تطرأ من عصر لآخر، فقد سبق الشيخ اطفيش الشيخ الثميني في كتابه التكميل لما أخل به **كتاب النيل**[19] إلى الحديث عن بعض النقاط المتعلقة بالعمران ضمن الموضوعات الفقهية في الكتاب.

فمن النقاط التي طرحها الشيخ اطفيش المسافات التي يجب أن تراعى في الطريق بين الجدار والجدار المقابل على حسب منفعة الطريق واستعمالها، فطريق الراجلة 3 أذرع والطريق الطريق التي يمر عبرها حمالو المياه على الدابة خمسة أذرع وهكذا.. وفي المسافة أو حريم الوادي 40 ذراعا على الجانبين من الحد الذي يبلغه السيل عند الجريان.

وكذلك من النقاط التي تطرق إليها استحداث الدكاكين والحوانيت والورشات بالقرب من المجمعات السكنية فإنه يكون على المفاهمة ودفع المضرة ما لم يبن وإن بنى ثم اعترضوا عليه فعلى قدر المضرة. وكذلك الحال بالنسبة لاستحداث السوق.

وغيرها مما يفترض أن تلك القوانين والأعراف العمرانية قد جسدها المزابيون أثناء اختطاط قراهم، مما أكسبها خصوصية متفردة وتناغما بين التنظير الإسلامي والواقع التطبيقي.

التوازن البيئي والعمران بمزاب: تحتم الظروف الصحراوية القاسية وضرورة الحفاظ على شروط الحياة الضرورية لضمان البقاء على الإنسان أن يتكيف مع بيئته ويخلق معها علاقة صداقة وتعاون حتى لا يكون هو سبب في انتقاله

إلى مكان آخر أو العيش في عداء مع الطبيعة، وكان المنطلق في مزاب أسبقية حفظ التوازن البيئي على العمران.

[18] انظر عن هذا القطب في **مجلة الواحة**، جامعة غرداية، العدد 16.

[19] شرح الشيخ اطفيش هذا المصنف المكون من 4 أجزاء في 17 جزء.

ويمكن ملاحظة هذا المنطق أو التصور من الصورة العامة للقصر والموقع إلى التفاصيل الدقيقة داخل المجالين القصر والواحة.

اختيار الموقع يتطلب اختيار الموقع في تشيد القصر والمدينة الصحراوية توافر شرطين الكليات الخمس وجلب المنفعة ودفع المضرة، فعمران المدن السبعة بمزاب تم في فترات زمنية متباعدة ما بين القرن 4هـ إلى القرن 11هـ وفي مناطق متنوعة بين القرب والبعد عن بعضها البعض، حيث نص العرف على أن للمدينة حريم خاص

بها والمدينة الصحراوية تضم المجالين الحضري العمراني والريفي الفلاحي وحريمهما معا يتراوح من500 ذراع إلى مقدار ما ترعى الدواب خلال يوم كامل على ما تعارف عليه أهل المدينة[20]. وتكون المساحة الإجمالية مستجيبة بشكل تناسبي بين تعداد السكان و المقدرات الطبيعية الموجود فوق المساحة ومردودية الأرض، فيصرف كل وافد بعد الجيل الأول الساكن للقصر إلى انشاء قصر آخر على مسافة تكون محترمة لحريم المدينة الأولى وهكذا.وتتجلى من خلال القراءة الأثرية والهندسية مدى براعة الإنسان في الموازنة بين ثنائية المجال الحيوي حيث الحاجة إلى التربة والأرض الزراعية القليلة والقصر الصحراوي الذي يجمع داخل أسواره الجماعة السكانية التي لا يجب أن يتجاوز تعدادها إمكانيات المساحة الزراعية بحيث كان يُدفع بالفائض إلى أن يؤسس لنفسه قصرا جديدا بعد أن يبحث عن مساحة زراعية تكفيه مؤنته.

هكذا بدأ حديث سكان مزاب مع الطبيعة حتى أسرت لهم بأسرارها، فقد تجد خلال فترة زمنية بسيطة وجود عدة قصور صحراوية على مسافات متباعدة بشكل مدروس ويتماشى مع ما يقابلها من أرض الفلاحة، وهذا رغم التعداد السكاني البسيط الذي يمكن حصره في قصر واحد إلا أن التنمية المستدامة وتهيئة المجال لأجيال لاحقة كان وراء هذه الخطة في العمران.

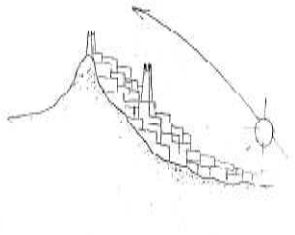

فبإلقاء نظرة على مدى التوازن الفعلي بين التعداد السكاني والمساحة الكلية نجد أن نصيب الفرد الواحد كبير نسبيا، إلا أن السبب يكمن في أن الجيل الأول طبعا سيليه أجيال من الأبناء والأحفاد ولا بد لهم من مجالات تكفيهم مستقبلا، فهنا تتضح قيمة الاحترام بين أبناء الجيل الواحد في افساح المجال الحيوي لكل مجموعة بشرية، ثم احترام الأجيال اللاحقة بمنحهم مساحة قابلة للاستغلال في كنف المجتمع الأم.

ثم في اختيار موقع تشييد القصر الذي يكون في المنطقة الصخرية المرتفعة وهذا مراعاة للبعدين الطبيعي والدفاعي حيث تكون هذا العمران بعيدا عن مجرى الوادي والأراضي المعرضة لسيلان الوادي وللحفاظ على المساحة الترابية الصالحة للزراعة على ضفاف الوادي إضافة إلى الإشراف ومراقبة ما يجري أسفل التلة الصخرية لسرعة الإغاثة ودفع الخطر مهما كان شكله[21]؛ فالمكان المرتفع والمنيع يكون في منأى عن الأخطار والعدوان المحتمل على القصر الذي هو أصلا محاط بسور خارجي وله أبراج مراقبة على الأبواب.

وأما للجهة الذي ينحدر منها القصر فكانت في كل مدن مزاب جهة القبلة (الشرقية) باعتبار شروق الشمس والاستفادة من الشمس الأولى للنهار وللاحتماء من الرياح الشمالية الغربية الشديدة والتي تصاحبها فترات من الزوابع الرملية أثناء السنة؛ حتى الشوارع يراعى فيها الاتجاه الشمالي الجنوبي[22] لتفادي التعرض الطويل للشمس

[20] الشيخ أبو العباس،**القسمة وأصول الأراضين** ، ص: 539.

[21] C.P Donnadieu & H Didillon, **Habiter le Disert, les maisons mozabites**, pierre Margada, p

[22] خالد بوزيد ومحمد التريكي، **المعمار والممارسة الاجتماعية، مزاب بين الماضي والحاضر**، أطروحة المرحلة الثالثة هندسة وتعمير، المعهد التكنلوجي للهندسة والتعمير، تونس، 1989.

عند الاتجاه الشرقي الغربي. فيتراء لنا من خلال النظر المعمق ذلك الاحترام للإنسان والبيئة كأسس في الممارسات الاجتماعية كقيم تعارف عليها المجتمع الإباضي.

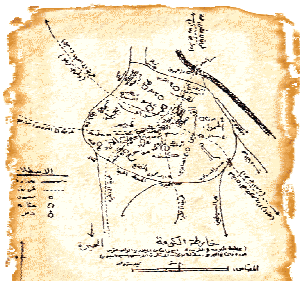

تقسيم الأرض لا يخضع تقسيم الأرض في المدينة الإسلامية إلى مقاييس فنية أو مادية بحتة بل إلى مقاييس اجتماعية أساسها التكافل والتعاون بين أفراد المجتمع، على اعتبار أن الأرض لله تعالى وما الإنسان إلا مستخلف فيها ومتصرف بقدر حاجته دون ظلم أو جور[23].

فتقسيم الأراضي الإسلامية المراد إقامتها يتم باتفاق القبائل والعائلات المكونة له وذلك على يد أهل الحل والعقد كما فعل الرسول (ص)[24] في المدينة وهو يهدف إلى تجميع كل قبيلة في رقعة خاصة بها ويترك لها حرية تقسيم رقعتها وفقا لظروفها وإمكانياتها في التعمير ومدى الحاجة إلى ذلك[25].طبق المزابيون نفس المنهج في تقسيم أرض القصر المراد إنشاءه حيث تقسم الأحياء على الأعراش والعشائر وهي محاولة للموافقة بين الطبيعة القبيلة أو البناء الأول للمجتمع وهو النظام القبلي وتوطيد صلة الأرحام بين أفراد القبيلة الواحدة مع جمع الأعراش والعشائر في قصر واحد ذات كيان مادي متكامل وإطار اجتماعي أشمل وأعم تذوب فيه النزاعات العرقية وينموا المجتمع الواحد وهو البناء المتقدم عن النظام القبلي أو القبيلة الأكبر بحجم المدينة، تحافظ على الروابط من خلال صلة الرحم والعلاقات الاجتماعية؛ فالأسر تشعر بالراحة والطمأنينة لقربها من أقاربها كما يسهل إدارة المدينة حيث أن لكل عشيرة مسئولون يمثلونها في مجلس الأعيان وهيئة العزابة[26].

المبادئ السامية في هندسة العمران: حافظت قصور مزاب منذ تأسيسها على نفس النمط المعماري ما يزيد عن العشرة قرون فقد استطاعت أن تتناغم إلى حد بعيد المنظومة الفكرية للمجتمع مع الوسط الطبيعي الذي يحيا فيه؛ إذ يعد العمران مرآة المجتمع وتعبير عن سلوكه ونمط معيشته، ولذلك ارتبطت كلمتي العمران والحضارة عند ابن خلدون وكثير من المفكرين؛ فلا ينطلق العمران البشري من الفراغ وإنما ينطلق من منبع داخلي فطري يصقله المجتمع من قوانينه الحياتية التي استلهمها من هداية الله، وخبرته الطويلة فيمزجها بعناصر الحياة المتوفرة في بيئته من هواء وتراب.. حتى تستقيم شروط الضرورية للاجتماع البشري.

أ–تهيئة المجال: قد خطط المجتمع المزابي مدينته ومرافقه ملبيا متطلبات عقيدته وبيئته بفكر جماعي تلبية لمطالب جماعية فامتازت عمارته بالانسجام والوفاق بين أشكالها ومضامينها، فللبعد الديني والاجتماعي الأثر الكبير في صياغة هيكلة القصر المزابي، ويمكن أن نبرز أهم الممارسات الاجتماعية وانعكاسها على النسيج العمراني:

يقوم التخطيط أولا بالاتفاق على حدوده ومواقع منافعه[27]ومقاييس وأبعاد طرقه فالاتفاق هو أساس من الأسس الاجتماعية الإباضية التي يستمد قوته من مبادئ الإسلام وقيمه. ويحكم التوزيع المجالي والفضائي للقصر خمسة أزواج تجسد الأبعاد الاجتماعية للمجتمع المزابي وهي:

---

[23] قال الله تعالى: "إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين" الأعراف 128.

[24] محمد عبد الستار عثمان، **المدينة الإسلامية**، سلسلة عالم المعرفة، ع 128، الكويت، 1988.

[25] راجع **المرجع نفسه**.

[26] خالد بوزيد، المرجع السابق، ص 41.

[27] مصطلح يعني به**المرافق العامة**.

الداخلي والخارجي: فالفضاء الداخلي للفرد هو القصر بأكمله وليس بيته فقط، والمجتمع أسرته والفرد مسؤول وحارس عن المجتمع وعن منزل المجتمع في كل ما يلزمه، والمجتمع مسؤول عن الفرد لكونه عنصر من الأسرة، بينما ما هو خارجي هو دخيل على القصر وعلى المجتمع يضيف إن عرف ويرتاب منه إن جُهل.

العام والخاص: يعتبر القصر مجالا خاصا بالمجتمع المزابي يقسمه بنفسه إلى مجالات خاصة وعامة بالنسبة لأفراد وجماعات ذلك المجتمع، فالقصر ينقسم إلى أحياء حسب القبائل والعشائر، والحي مجال خاص بالقبيلة أو العشيرة التي تقطنه والطرق تنقسم إلى رئيسية هي لعامة المجتمع وفرعية وثانوية خاصة بأهل الحي، كما تنقسم إلى سكة نافدة عامة وغير نافدة خاصة بسكني السكة؛ أما المسجد والسوق فيعتبران مجالين عامين إلا أن السوق فضاء عام مقصور على الرجال دون النساء والصبيان والشباب ليبقى المسجد فضاء لكل أفراد المجتمع باختلاف أجناسهم وأعمارهم وهو مقسم إلى مجالين على حسب الجنس.

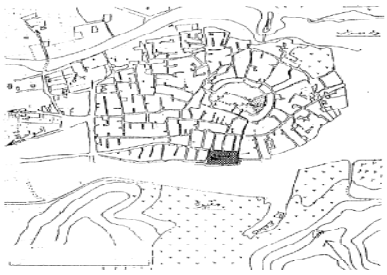

الديني والدنيوي: كما أن للدين المكانة العليا والإشراف وما هو دنيوي ينال المرتبة السفلى والدنيا عند الفرد المسلم والمجتمع الملتزم، فالعمران الديني والدنيوي في قصور مزاب قد نالت من موضعها نفس المكانة فنجد المسجد يحتل الموضع المرتفع في المدينة لعلو ذلك المكان الطاهر عما حوله ورفعة مقامه ووسط المدينة حيث مركز حياة وسلطة المجتمع الإسلامي، وبالمقابل نجد أن السوق وذلك المكان الدنيوي يتموضع أسفل القصر، إلا أن ذلك لا يعني قطيعة بينهما فهيئة العزابة هي المشرف على السوق وتقوم بدور الحسبة فيه.كما يضاف إلى هذه الجزئية كون السوق على باب القصر للسماح للغريب بقضاء حوائجه دون أن يتوغل ذلك القصر، ففي السوق أيضا تحفر بئر لسقاية القوافل والمحتاجين.

الحي والميت: يمثل القصر المكان النشط والنابض بالحياة في حين تكون المقابر خارج القصر بجانب مدخله والتي تظهر انعدام الحياة، وتغيب فيها كل رموز التفريق بين القبر والآخر لتساوي الناس أحياءا لتساوي شروط البناء وتساويهم أمواتا كأسنان المشط، عدا بعض العلامات التي ترفع بجانب قبور العلماء إكراما لهم لأن ميزان التفاضل عند الله التقوى. وهو يذكر الخارج من القصر بمصيره فلا يغفل في الدنيا كثيرا.

الرجالي والنسائي: يتكون المجتمع البشري من الرجل والمرأة وتتصل العلاقة بينهما في إطار العلاقة الزوجية أو القرابة العائلية، والرجل مطالب بتوفير الرعاية لكونه مسؤولا على الأسرة، بينما على المرأة تربية الأبناء وتنشئتهم، ولكي تنتظم حياة كل من الجنسين داخل المجتمع فقد قسم القصر إلى مجالات وفضاءات بصفة عفوية بين المرأة والرجل حسب احتياجاتهما.

فالسوق هو فضاء رجالي بامتياز في حين أن باقي أجزاء القصر من منازل وأزقة هو فضاء للنساء بالدرجة أولى، فالمسكن فضائها الخاص تزاول فيه نشاطاتها المعتادة ويستعملن الأزقة للتواصل والتعاون بينهن في المنسج وغيره، رغم أنهن يتواصلن عبر الأسطح في أغلب الأحيان، والأطفال إن لم يكونوا بالمنزل يلعبون في الزقاق

بالقرب من المنازل التي في الغالب ما تكون أبوابها مفتوحة فيكونون تحت مراقبة الأمهات، أما الرجال فلا يستعملون الأزقة إلا للمرور، ولا يسمح بفتح محل أو دكان في غير ساحة السوق[28].

كما تدخل أيضا في تهيئة المجالات العامة بالإضافة إلى العلاقات الخمس المجسدة للأبعاد الاجتماعية، مراعات الكليات الخمس ويمكن حصر نماذج منها فيما يلي:

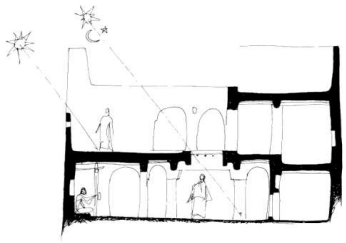

هيكلة البناء : أصبح من العرف في البناء أن هناك ارتفاعا معينا لا يزيد عليه، حيث لا يسمح بأكثر من طابق فوق الطابق الأرضي، ويقدر ارتفاع الطابق بقدر قامة الإنسان، فيكون الارتفاع تقريبا في حدود 7,5 م[29].

وهذا العرف نابع من الخلفية العقدية والاجتماعية للمجتمع والقائم على الأخوة وحق الجيران، فللجار حق في الشمس والهواء الذي قد يحجبه الجار عنه في حال الارتفاع فيجلب له المضرة في جسمه لما للشمس وحركة الهواء من أهمية لصحة الإنسان خاصة النسوة اللائي يزاولن نشاطهن بالمنزل، ومصدر الشمس هو شباك السطح العلوي ففي هذا حفظ للنفس. كما أن الارتفاع على الجار هو تطلع عليه وكشف لستره، مما يقيد حركة الجار السفلي وحريته داخل منزله فهذا الاجراء العرفي هو حفظ للأعراض؛ ولأن الناس يتمايزون فطريا في المقدرات فيمكن لأي أن يعلي بناؤه كما شاء لكن هذا التطاول في البنيان قد نهت الشريعة والرسول (ص) عنه، فالمعمار المزابي يتميز بالعقلانية وتقديم الحاجة على الكمالي والزيادة غير النافعة يصرفها صاحبه المشاريع خاصة أو عامة فيربحها لآخرته وفي هذه الميزة حفظ للمال.

اتخاذ الشوارع والفتحات إليها: لا تتعدى الأزقة والممرات في قصور مزاب وظيفة المرور من نقطة إلى أخرى بين المرافق والمنافع، فهي قنوات الاتصال لأهل القصر، ولذلك فقد اهتم به العرف ورتب أموره وفق ما تمليه القيم والممارسات الاجتماعية؛ فيتفق أهل الحي عند وضع المخطط على رسم الشوارع وتعيين مسالك وسعتها لتصل بين كل المرافق الخاصة والمنافع العامة المراد إنشاؤها ويراعى أثناء التخطيط :

- لها الأولوية في القياس وأخذ الحيز المناسب لها فتخطط قبل بناء المرافق ويراعى فيها الاتجاه الشمالي الجنوبي لتفادي التعرض الطويل للشمس عند الاتجاه الشرقي الغربي.
- تتخذ قياساتها من طبيعة عملها وسهولة المرور خلالها فطريق الراجلة 3 أذرع، والسقاية والحطب 5 أذرع، طريق الجمال 12 ذراعا، الحمير 7، المحامل 24، وطريق الرعي والحجاج 40 ذراعا[30].

كما تسوى الشوارع باستدارة متعددة لخفض شدة الانحدار مما ييسر على الكبير والصغير والدواب المحملة الارتقاء داخل القصر، وكذلك ارتفاع الدرج الذي لا يتعدى ارتفاع كعب الإنسان وحافر الحيوان.

وتتخذ فتحات الأبواب لتكون المدخل إلى المنزل ولها مقاييس معينة حيث تكون عتبتها السفلى مرتفعة بنحو 20 سم لمنع تسرب ماء المطر المنساب عبر الشوارع أو الهواء البارد في الشتاء، وتمنع دخول الزواحف والحشرات؛ وارتفاعه يكون كبيرا طولا لعرقلة الهواء الحار صيفا، وإنما يكون فيها زيادة في العرض لتمكين

[28] التريكي، **المرجع السابق**، ص 46.

[29] **العرف في البناء التقليدي بوادي مزاب**، د.ت.س.و.م، 2013.

[30] أبو العباس، **القسمة وأصول الأرضين**، ص 533.

الدواب المحملة بالمؤن والماء من الدخول بسهولة إلى وسط الدار، ولا تفتح الأبواب إلى الشارع بل إلى الداخل لئلا تعرقل مرور الراجلين أو الدواب. ولا تتخذ النوافذ نحو الشارع بل تتخذ كوات وفتحات صغيرة للتهوية لعدم التعدي على حرمات الجيران وأن لا يكون صوت الغرف مسموعا في الشارع، ففتحة شباك السطح كافية لنصيب وافر من الشمس والهواء.

اختيار مواد البناء: اعتمد المزابيون في بنائهم على مواد محلية مستخرجة من المحيط الطبيعي المباشر وتتوافر بشكل لا يشكل إشكالا أو عناء للحصول عليها فالحجارة والجبس متوفرين، كما تمد النخيل في الواحات بالجذوع والسعف لرفع وتسقيف المساكن وصنع الأبواب. واستعمال هذه المواد الطبيعية استوجبت لمنفعتها على المجتمع احترامها وتقديرها كنعمة وفرها الله تعالى لخدمة عباده، فوجب إكرامها بعدم تبذيرها وتوفيرها في ما ينفع.

أسرار جمالية الفن المعماري في القصور الصحراوية بمزاب:

التناغم مع الكون: يتفرد العمران بمزاب كأي نموذج منسجم بشكل خاص لا يتكرر في مناطق أخرى، بشكل جعل المجموعة المهتمة بالتخطيط العمراني تتساءل من جديد وبشكل فلسفي وأعمق عن الخلفية والخيال الاجتماعي الذي نسق هذا المجال.

يتميز العمران في مزاب بذوق خاص ولمسة جمالية خاصة ارتسمت بشكل عفوي وقد أبدعته العناية الإلهية بأدي المجتمع الذي سار على قيم الإسلام ودين الفطرة، فتجلى ذلك التناغم في شكل بديع يشعر فيه الإنسان بوجوده ضمن طبيعته الأرضية وفطرته التي لا تستسيغ التكلف؛ ومن مثال ذلك جعل الكليات الخمس في الدين كعرف من الأعراف الواجب الاحتياط لها أثناء البناء.

البناء والمهندس الواحد: على الروح الجماعية والعمل التطوعي قامت حضارة وادي مزاب وعمرت مواطنه. فعندما كان القصر يشيد عبر الزمن كان العمل قائما على مبدأي الجماعة والتطوع حيث أن كل صاحب أو أصحاب منازل يريد أن يشيد منزله فإنه يتم يحتاج المعونة وله أن يستدعي أهل القصر وجيرانه ليقدموا له يد العون في نقل مواد البناء أو التسقيف أو رفع الجدران وذلك بأن يبلغ في المسجد عقب الصلاة بحاجته وتحديد الموعد فيجد اليد البيضاء في شغله، ونفس المتطوعين (أي أهل القصر) يعنون آخر وهكذا حتى يكون انجاز القصر كانجاز رجل واحد. وهذا التطوع العفوي يصل إلى حد الإلزام فعدم الوقوف مع الجار ولو لم يكن معه على وفاق سيكون حرمانا من المساعدة عندما يحين دوره. وهذه الأشغال تأخذ وقتا فيقع التناوب على الأعمال الأخرى فمثلا إذا كنت من سيذهب إلى التطوع في البناء فإن الجار في البستان سيقوم بسقي بستانك نيابة عنك وبشكل عفوي. فهذا المظهر العام للقصر على مستوى رفيع من الانسجام.

الوحدة والتنوع: رغم أن معمار وادي مزاب يمثل وحدة وكتلة متجانسة العناصر والمكونات بحيث ترى تكافؤ وتشابها بين كل المساكن وبل بين مختلف المنشآت والمرافق من المسكن إلى المسجد بشكل يعبر بكل صدق عن وحدة الهدف ووحدة المجتمع، إلا أن في هذه الوحدة ثراء كبير في تعدد الأشكال والمناظر بحيث أن كل مسكن كل فضاء وكل مجال يمثل وحدة منسجمة لا تتكرر في بناء أو في مكان آخر؛ فهي ليست خاضعة لقوالب جامدة في النمط أو الشكل بل إنها كانت استجابة واعية للحاجيات والضروريات التي أملتها[31].

[31] Andre Ravéreau, **Le Mzab une leçon d'architecture**, Sindbad, p 52

الاستجابة للمتطلبات: لم يكن العمران في مزاب مبنيا على التعقيد فكل ما يتراء للناظر هو استجابة لضرورات المجتمع وحاجاته الفطرية وانعكاس مباشرا لنمط الحياة وطبيعة النشاطات، ذلك أنه كان يحدد في صياغته بالحاجة، فأي جزئية في البناء هي تأذي وظيفة معينة أو ترمز إلى هدف ما.

الواقع العمراني اليوم بمزاب: يمثل النتاج المعماري حياة الإنسان وفضاء ممارسته، والذي مثل كذلك انعكاسا لعقيدته وفكره وحاجته؛ ومجالا نلمس فيه روح هذا المجتمع ومنهاج عبادته لله، فكل الفضاءات وكل الأجسام وكل الفراغات أو جلها داخلية كانت أو خارجية شكلا أم مظهرا أم لونا تعبر بصدق عن النمهج العبادي لهذا المجتمع وذلك قبل أن يصاب بالتوقف عن البحث والعطاء والإبداع مكتفيا بتكرار ذلك النمط والرصيد من النتاج المعماري وذلك لمدة طويلة جدا بشكل يتعارض مع التطور التاريخي والحضاري حتى وجد نفسه أما موجة الثقافة العالمية العاتية بكل ايجابياتها وسلبياتها في وقت لم يستطع أن يميز بين الصالح وغيره مما أدخل على بنية المجتمع العادية والفكرية تحولات عديدة أثرت على ممارساته الاجتماعية والتي انعكست على الإنتاج المعماري[32].

رغم النجاح التجاري الكبير عند المزابيين إلا أنذلك الربح لم يكن هدفا بل وسيلة لتنمية مدن وواحات المنطقة حيث شكلت الأهمية القصوى وقد حافظوا على تطوير الواحات والمدن وأنظمتها إلى عهد قريب، وأثرها بالخبرات المختلفة التي تحكم فيها وشغلها فيما يخدمه.

وفي فترة الاستعمارية عمل المستعمر الفرنسي على انهاء استقلال المنطقة وذلك بتقليص صلاحيات المؤسسات العرفية والأعراف الاجتماعية (الظوابط والعقود الاجتماعية) لماذا لما لهذين العاملين من تأثير في تنظيم المجتمع وضمان توازنه وانسجامه. مما سهل للأفكار الغريبة على المجتمع الإسلامي أن تلقى نوعا من الإقبال حتى ولو كان على أفق ضيق كاستعمال بعض الوسائل التي يمكن أن تعتبر من غير منفعة أو بديل لما هو موجود أصل كالتأثيث وغبره.

وبعد الاستقلال والانفتاح الاقتصادي وحرية المجال للتنقل خرجت الأسر المزابية للاستقرار في الشمال وغيره من أجل العمل والكسب وظهرت فوارق اجتماعية شاسعة وسعي حثيث نحو الكسب كهدف وليس كأداة لغاية كانت سابقا إعمار المنطقة ضمن المجموعة المتجانسة المتكاملة وإنما إشباعا لنزوع شخصي. فهذا الانفتاح لم يراعي للمنطقة خصوصياته التاريخة والثقافية مما ولد فسيفساء اجتماعية مشوهة ومتباينة ومتشبعة بمختلف التيارات التي حملها إليه المستعمر وأبناء المنطقة والمهاجرون إليها.

وعلى هذا شهد العمران في مزاب العديد من التحولات في الفترات الأخيرة وهذه التحولات التي تبدوا واضحة خارج أسوار القصر وحتى داخله أين تبدوا الهوة بشكلي جلي بين ما كان سائدا على الأرض والذي تحول إلى كتابات و روايات أو نظريات من الزمن الماضي وبين الواقع المعاش، فقد استطالت البناءات بشكل لافت وتنوعت الأنماط المعمارية ما بين الشرقية الغربية، حيث يمكن أن تجد في شارع واحد أربعة إلى خمسة أنماط

[32] التريكي، **المرجع السابق**، ص 145.

معمارية غير محلية، إضافة إلى النوافذ الكبيرة واستعمال مواد البناء الجديدة من اسمنت وحديد وهذا في المستويات المنخفضة أي على مستوى مجرى الوادي وعلى حساب المساحات الخضراء (البساتين).

فعلى صعيد البناء الخاص فنلاحظ مع تقلص عدد أفراد الأسرة في المسكن الواحد بالميول إلى السكن الخاص في الأسرة الفتية أن هناك ميولا لإضافة طابق ثاني أي وجود مساحات زائدة عن اللزوم في حين أن البناء القديم يعتمد على الضرورة والحاجة. كما أن البناء قد اعتمد طرق حديثة في مواد البناء أساسها الإسمنت الحديد مما سمح برفع السقف أكثر لاحتواء الأثاث الإضافي والمرتفع على عكس النمط القديم الذي يعتمد السقف القريب لدواعي ترتبط بالمناخ وتكييف المنزل على حسب الفصول وهذه البناءات الجديدة تستجيب للمناخ بشكل سيء مما يحتم مزيدا من وسائل التكييف ومزيدا من صرف الطاقة.

ومن جهة مراعاة المجلات فالأمر لم يعد واقعا فالمساحات الرجالية والنسائية مثلا قد تداخلت وحتى في العمران لم تعد المسألة تراعى كأن يضمن البناء مدرجا للصعود إلى الطابق الأعلى ويكون وسط الدار مما يعرق حرية المرأة داخل البيت كدخول وخروج أخ الزوج اللذين يعيشان في بيت واحد، في حين كان المجالين منفصلين مع وجود مدرجين في مسكن واحد.

أضف إلى ذلك غياب التوجيه في البناء والتقليص من اتساع الشباك العلوي وتعويضه بالنوافذ التي لا تضمن الشمس والضوء إلا بشكل جزئي، وبالتالي تعويضها بالإنارة الاصطناعية وحرمان الجسم من القدر الكافي من الشمس والتعرض للأمراض المختلفة من تراجع في الإبصار والهزال.

فهذه الفسيفساء لا تعنى بتاتا التنوع بقدر ما تنبأ عن عدم الانسجام والتناغم وطغيان للروح الفردية على الأنا الجماعية؛ وهذا الوضع هو نتاج نشأة أجيال متكونة خارج الأطر السابقة وفاقدة لمعاني المكتسبات والمقدرات السابقة ولو كان فيه علم ودراية سيحصل النمو والتوسع بشكل متوائم مع الموروث الحضاري الإيجابي وتثمينا له.

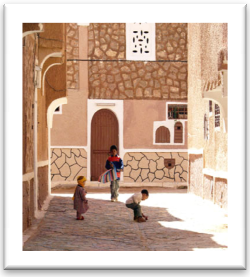

قصر تافلالت وفن الممكن: من النماذج التي فهمت الأطر والضوابط الاجتماعية الخاصة وفق الحاجات والضرورات الحالية التي لم تكن من ضرورات الأمس فعايشت العصرنة الحقيقية أي النابعة من استجابة ذاتية وليست لحتمية خارجية قصر تفلالت الذي لا يبعد عن قصر بني يزقن بأكثر من كيلومترين؛ حيث كسر هذا القصر نظرية حتمية الاستجابة للظروف الخارجية والانسياق وراء التيار الفوضوي الجارف الذي ينبني على أن يهتم كل بذاته وتكوين ملجئه بعيدا عن الإطار الاجتماعي الذي ينتمي إليه وفي الأرض التي تسمح له بالبناء كالبستان الذي ورثه عن والده أو بالشراء وغير ذلك.

هذا الفضاء العمراني الذي هو قصر صحراوي جديد يضم ألف مسكن قائم على فلسفة الحيز القابلة للتسيير، على عكس النسيج الكبير والمترامي والذي يعيق التسيير ويخلق الفوضى، وهو مثال لاحترام نمط العمران المحلي والمستوحى من الهندسة المزابية، فقد حقق هذا المشروع:

- التقليص من أزمة السكن.
- تخفيف الضغط على قصر بني يزقن.
- تجنب البناء على حساب الواحة.
- احترام مبادئ وأعراف العمران في مزاب.